إشكالية تحقيق أهداف التعليم العالي في ظل ازدواجية اللغة: التدريس باللغة الفرنسية في الجامعة الجزائرية

تكمن أهمية التعليم العالي في تزويد سوق الشغل برأس المال البشري المكون تكوينا عاليا والمتخصص في مختلف الميادين والمؤهل والقادر على التكيف مع التحولات التكنولوجية والاقتصادية المحلية والعالمية لتحقيق النمو الاقتصادي المرجو. إلا أن هناك إشكال خطير ربما لا يعيره الكثيرون أهمية وهو "لغة التدريس"، خاصة فيما يتعلق بالعلوم التطبيقية (الفيزيائية والطب والصيدلة والفلك والعلوم الفلاحية والبيطرية ..) التي تدرس باللغة الفرنسية، في الوقت ذاته تعتمد العلوم الاجتماعية والانسانية اللغة العربية في التدريس في معظم الجامعات الجزائرية.

بعد ثورة مسلحة مباركة استطاعت الجزائر استرجاع استقلالها من أخطر استعمار، فعملت بعض القيادات على محاولة إرجاع البلد إلى موقعه التاريخي والطبيعي – العربي والاسلامي-، لكن لم تكن هناك نخبة مؤهلة تستطيع الإلمام بكل تلك المسؤوليات. ولتسير الأمور كان لزاما على السلطات الحاكمة أن تعتمد فئة من خريجي التعليم الفرنسي والمتشبعين بالثقافة الفرنسية في تسيير دفة التعليم، وبتطور الاحداث خاصة السياسية، لم تكن الإرادة قوية في تعريب التعليم خاصة العلوم التقنية والطبية في الجامعة وهو ما خلق جوا استثنائيا لطلاب الجامعة في اختيار تخصصاتهم المستقبلية، فمن جهة التعليم ما قبل الجامعي معربا، بينما التعليم العالي ممثلا في الشعب التقنية والطبية والفيزيائية بالفرنسية، وهذا ما خلق حالة عدم توازن لدى عديد الطلبة النجباء الذين لا يتقنون اللغة الفرنسية، وأثر في قرار توجههم نحو التخصصات الرائجة في سوق وذات المكانة المرموقة.

وإذا أردنا تقريب الوضع في الجزائر لا نجده يخرج عن التأثير الكبير الذي صار يمثله اللوبي الفرنكوفيلي في الجزائر والصراع الذي يظهر في أحايين كثيرة بينه وبين الوطنيين المعربين وحتى القوميين ذووا الاتجاه المعادي للاتجاه الفرنسي. فاللوبيات ذات التوجه الأيديولوجي الفرنسي ما تزال تضغط لإبقاء الوضع على ما هو علي- اعتماد الفرنسية في التعليم العالي -، بل ومحاولة الهيمنة على التعليم ما قبل الجامعي. هذا ما يحيلنا لمقاربة بيار بورديو لمحاولة بعض النخب إعادة إنتاج نفس طبقتها لتتمكن من إبقاء سيطرتها ومن ثم تمكين المستعمر القديم من إبقاء هيمنته على الجزائر اقتصاديا وثقافيا، ومقاربة سمير أمين حول المركز والأطراف، فالمركز (فرنسا) يملك عادة من الديناميات الداخلية ما تمكنه من أن يكون أكثر قدرة على حل مشكلاته على حساب الآخرين أي الأطراف (الجزائر)

ولدراسة هذا الموضوع سنعتمد على المنهج التاريخي للبحث عن أصل المشكلة وتطوراتها عبر الزمن، بالإضافة إلى المنهج التحليلي لنستعرض بعض من مظاهر الصراع الأيديولوجي الذي يئن منه التعليم العالي في الجزائر، ويعتبر من أسباب تأخره عالميا، وفشله في تحقيق أهدافه العليا.

الكلمات الدالة:

الازدواجية اللغوية، صراع الإيديولوجيات، الصراع الثقافي، إعادة إنتاج الطبقة، نظرية المركز والاطراف.